روسيا وأوكرانيا بعد أزمة شبه جزيرة القرم

Russia and Ukraine after the Crimean crisis

م.م. حسام محمد خضير(*)

Assistant Lecturer Husam Mohammed Khudhair

المُلخّص

منذ إنهيار الإتحاد السوفيتي في بداية تسعينيات القرن الماضي أصبحت المُشكلات الإقليميّة تهدد الأمن القومي لروسيا الإتحاديّة ، وذلك لأن الاخيرة هي الوريث الأكبر (كمساحة ونفوذ) للإتحاد المُنهار، وتجاور العديد من الجمهوريات المُستقلّة كأوكرانيا، والتي أصبحت محط أنظار الغرب والولايات المُتحدة الأمريكيّة. وبعد أنّ بدأت روسيا في العقد الاول من القرن الحالي بالتعافي تدريجيّا بتحررها من التبعيّة للغرب، وإستعادة المكانة الدوليّة لروسيا، توسع محور المُشكلات وباتت مُعقّدة أكثر من منطلق ضرورة حمايّة المصالح الإستراتيجيّة الروسية، وعدم السماح للدول السوفيتّة السابقة بالإنضمام إلى التحالفات الغربية المُعاديّة لها، وهنا نقصد حلف الشمال الأطلسي والقضيّة الاوكرانيّة. وفي المقابل، لم يكن الغرب بزعامة الولايات المُتحدة الامريكيّة ليكف عن الضغط على أوكرنيا وتحفيزها لإستفزاز روسيا المجاورة من اجل محاسبة الأخيرة بإستمرار وعزلها دولياً في ضوء ردود الفعل الروسيّة تجاه هذه

(*) مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة / جامعة بغداد .

mmhsammhmd@gmail.com

الإستفزازات. وما شهدناه في العام ٢٠١٤ على خلفيّة قيام روسيا بضم شبه جزيرة القرم وتداعيات هذه المسألة، وما نشهدهُ اليوم عقب بدء الحملة العسكريّة الروسيّة ضد أوكرانيا في أواخر شباط الماضي خير دليل على ذلك.

الكلمات المفتاحيّة: روسيا الإتحاديّة، أوكرانيا، حلف الناتو، الأهميّة الإستراتيجيّة .

Abstract

Since the collapse of the Soviet Union at the beginning of the nineties of the last century, regional problems have threatened the national security of the Russian Federation, because the latter is the largest heir (as space and influence) to the collapsed Union, and it neighbors many independent republics such as Ukraine, which has become the focus of attention of the West and the United States of America. After Russia began in the first decade of the century to gradually recover by liberating itself from dependence on the West, and the restoration of Russia's international standing, the axis of problems expanded and became more complex, based on the need to protect Russian strategic interests, and not allow the former Soviet countries to join the Western alliances hostile to it, and here we mean an alliance The North Atlantic and the Ukrainian issue. On the other hand, the West, led by the United States of America, would not stop pressuring Ukraine and motivating it to provoke neighboring Russia in order to constantly hold the latter

accountable and isolate it internationally in light of the Russian reactions to these provocations. What we witnessed in 2014 against the background of Russia's annexation of the Crimea and the repercussions of this issue, and what we are witnessing today after the start of the Russian military campaign against Ukraine in late February is the best proof of that.

Keywords: Russian Federation, Ukraine, NATO, strategic importance.

المقدمة

لم تستطع روسيا الإتحاديّة (الوريث الاكبر) للإتحاد السوفيتي السابق أن تتخلص من هاجسها في إخضاع الدول المجاورة لحدودها أو الجمهوريات المُستقلة في المنطقة لسيطرتها، إذ ما تزال تسعى لتحقيق الحلم في إستعادة مكانة وأمجاد الدولة السوفيتية الكبرى. وإذا نظرنا بتمعن لأصل المسألة لوجدنا أن روسيا لديها الكثير من الحق في نمط تفكيرها هذا، إذ أن تفرد الولايات المُتحدة الأمريكيّة بالتحكم بمنصّة الأعراف الدوليّة والتحكم بمصير الدول والشعوب تحت شعار الديمقراطيّة والحريّة، عكس صورة واضحة للقوى العالميّة، وعلى رأسها روسيا والصين، بأن السياسة الأمريكية هي ذات نهج (أحادي القطبيّة). لذلك لا تسعى الحكومات الأمريكيّة المُتعاقبة إلى تحرير الشعوب وتحصيل حقوقها المسلوبه كما تزعم، بل كانت الولايات المُتحدة الأمريكيّة وما تزال تختلق المُشكلات وتُعقّد الأزمات بقرارات تصب لمصلحتها بالدرجة الأولى. وأوكرانيا ليست إستثناء مما ذُكر، فالأخيرة أيضاً باتت منطقة مليئة بالاحداث

والتصعيدات السياسيّة والعسكريّة بعدما أصبحت تُمثل منطقة عازلة لروسيا عن الغرب. ومن هذا المدخل سرعان ما وظّفت الولايات المُتحدة الأمريكيّة أوكرانيا كورقة ضغط تستخدمها ضد روسيا متى تشاء. بالمقابل غالباً ما ترد روسيا بتحريك أدواتها في الداخل الأوكراني والإستفادة من تواجد قواتها العسكريّة على مقربة من الحدود المشتركة مع أوكرانيا، وكذلك لا ننسى الدور الذي تؤديه العوامل الثقافية والتأريخية والحضارية والدينية بين الدولتين المتجاورتين.

إشكاليّة البحث:

إنّ إشكالية البحث تُثيرها تساؤلات معيّنة، ولعل من أهمها: إلى أي مدى تسوء العلاقة بين روسيا وأوكرانيا؟ وما هي العوامل الرئيسة التي تدفع الطرفين نحو تعقيد الأزمة بعد أحداث شبه جزيرة القرم؟ فضلاً عن التصورات المُحتملة للأحداث في الأيام القادمة والتي لربما ستحمل في طياتها الكثير من التطورات.

فرضية البحث:

تنطلق فرضية البحث من أن روسيا الإتحاديّة ستعمل جاهدة من أجل الوقوف ضد التحركات الامريكيّة والغربية الهادفة إلى إستخدام أوكرانيا كورقة ضغط امام روسيا. وفي الوقت نفسه، ستظل روسيا تُعاني من العقوبات الإقتصاديّة المفروضة عليها على خلفيه أحداث شبه جزيرة القرم، ولربما تشتد وتيرة الأحداث ويفرض الغرب عقوبات جديدة أخرى على روسيا. وبما أنّه تم توصيف أوكرانيا على انها ورقة ضغط أمريكيّة غربيّة ضد روسيا، فأن الأخيرة أو الولايات المُتحدة الأمريكيّة هي من ستُقرر مصير أوكرانيا المجهول في المُستقبل.

الهدف من البحث:

أن الهدف من البحث هو أنْ نُسلّط الضوء على جذور ودوافع الأزمة بين روسيا الإتحادية وجارتها أوكرانيا في الاعوام الاخيرة من خلال عرض معطيات وطروحات بشأن التقارب والإختلاف بين البلدين.

مناهج البحث:

أُعتُمدت المناهج الأتية في البحث: المنهج التأريخي والمنهج الوصفي ومن ثم المنهج التحليلي. وذلك سعياً منا للوصول إلى حصيلة إستنتاجات نوعية موجزة ومبسّطة في الوقت نفسه.

هيكلية البحث:

يتألف البحث من مُقدمة ومبحثين وخاتمة وقائمة المصادر. ويتناول المبحث الأول **(الجذور التأريخيّة والتحديات المُعاصرة للترابط الروسي – الأوكراني) اذ تتضمن** العامل التأريخي والحضاري والأهمية الجيوسياسيّة والإقتصاديّة لأوكرانيا وفق المنظور الروسي. أمّا المبحث الثاني **(أزمة القرم وتداعياتها على روسيا وأوكرانيا)**، فيتناول الأهمية الإستراتيجيّة لشبه جزيرة القرم في المنظور الروسي ودوافع الأزمة، وكذلك السيناريوهات المُستقبليّة المُحتملة للأزمة الروسية – الأوكرانيّة.

وقد تضمنت قائمة المصادر البحوث العربية الرصينة، وتم الإستعانة أيضاً ببعض البحوث والمواقع الروسيّة التي تُرجمت إلى اللغة العربية.

المبحث الأول

الجذور التأريخيّة والتحديات المُعاصرة للترابط الروسي – الأوكراني

أولاً: الموقع الجغرافي والعامل التأريخي والحضاري

تقع اوكرانيا في المنطقة الشرقيّة من القارة الاوروبيّة، تحدها روسيا الإتحاديّة من الشرق، وبيلاروسيا من الشمال، وبولندا وسلوفاكيا من الغرب، ورومانيا ومولدافيا في الجنوب الغربي، وإلى الجنوب منها يقع البحر الأسود وبحر آزوف [١] . ويتكون المُجتمع الأوكراني من مجموعة من الأثنيات والأعراق متنوعة بين شرقي وغربي من أصل روسي، وينتمون إلى الكنيسة الأرثوذكسيّة ، ويعتقد سكان شرق وجنوب أوكرانيا وجزء من سكان شبه جزيرة القرم أنّ روسيا بلدهم الأم، في حين أنّ الجزء الآخر من الذين يتمركزون في الجزء الغربي للبلاد يرون أنّهم جزء من أوروبا، بالمقابل يعد الروس مدينة كييف – عاصمة أوكرانيا على أنها أم المدن الروسيّة ومركزاً للحضارة الأرثوذكسيّة الشرقيّة، وهناك جذور تأريخيّة وحضاريّة وثقافيّة وعرقيّة ودينيّة عريقة تربط بين الشعبين الروسي والأوكراني [٢] . وتذهب الكتابات التأريخيّة إلى أنَّ أول من أسس لنهضة أوكرانيا هم السلاف الشرقيين في القرن التاسع عشر الميلادي والذي عُد بداية التأريخ الحديث لأوكرانيا فأصبحت هذه الدولة المعروفة بإسم (روس كييف) مركز القرون الوسطى للسلاف الشرقيين على مدى ثلاثة قرون، لذا يعد الروس، كما أسلفنا، مدينة كييف الأوكرانيّة (أم المُدن الروسيّة) ومركزاً للحضارة الأرثوذكسيّة الشرقيّة [٣] . وكانت أوكرانيا في القرن التاسع عشر مُقسمة بين الإمبراطوريتين النمساويّة وروسيا القيصريّة حتى العام ١٩١٧ عندما إنهارت الإمبراطوريّة الروسيّة وأعلنت الجبهة الوطنية الأوكرانيّة إستقلال

البلاد، أما في القرن العشرين فقد قُسّمت أوكرانيا إلى أربعة مناطق، من ضمنها جزء تابع إلى روسيا والذي ضمن العاصمة كييف أيضاً وكان تحت سيطرة البلاشفة (*) ، وقد شهد هذا الجزء تطوراً ملحوظاً في المجال الصناعي في أوروبا آنذاك ، إلا أن إنهيار الجيش الألماني حال إلى سيطرة القوات السوفيتيّة على أوكرانيا بالكامل، ووقعت الاخيرة تحت سيطرة الإتحاد السوفيتي في ظل الشيوعيّة، وكانت أوكرانيا آنذاك واحدة من الجمهوريّات الإشتراكيّة الأربعة والتي ضمّت: جمهوريّة روسيا السوفيتيّة الإتحاديّة، وجمهوريّة القوقاز السوفيتيّة الإشتراكيّة، وجهوريّة بيلاروس السوفيتيّة الإشتراكيّة، ونالت أوكرانيا إستقلالها بعد تفكك الإتحاد السوفيتي في العام ١٩٩١ (٤) .

ثانياً: الأهمية الجيوسياسية والإقتصاديّة لأوكرانيا وفق المنظور الروسي

تمتلك اوكرانيّا موقعاً جغرافيّاً مهمّاً، وذلك بفضل موانئها الواقعة على البحر الأسود وبحر آزوف المؤديّة إلى البحار الدافئة وأوروبا الغربيّة وجميع القارات، ويربط موقع أوكرانيّا بين الشرق والغرب، وتحديداً بين روسيا الإتحاديّة ودول الغرب، ما يجعلها منطقة تجاذب وصراع بين الطرفين، وتصل أوكرانيا أيضاً شرق أوروبا بالقوقاز، وينتقل النفط والغاز القادم من الشرق عن طريق البحر الأسود وبحر قزوين، ومن منطلق أنّ أوكرانيّا تتمتع بموقع إستراتيجي مهم على مُفترق طرق بين قارتي آسيا وأوروبا، فهي تُعد الأساس الذي يقوم عليه توازن القوى في منطقة القوقاز والتي تمتد صعوداً نحو روسيا وغرباً إلى روسيا الشرقيّة التي تمثل ممراً لأنابيب الغاز بإتجاه دول غرب أوروبا، ومن هنا تعمل روسيا الإتحاديّة في الضغط على أوروبا والتي هي بحاجة النفط والغاز الروسي، فضلا عن أنّ أهميّة أوكرانيا تتمثل في إمتلاكها لأكبر منظومة أنابيب للغاز بطول (٣٥,٢)

ألف كم واكثر من (١٢٠) محطّة لضخ الغاز و (١٣) مُستودع لحفظه تحت الأرض، وأنبوب السيل الشمالي الذي يمر عبرها والذي يُغذّي أوروبا بثلث حاجتها من الغاز، وكذلك يقع في مدينة سيباستيبول الاوكرانيّة أسطول البحر الأسود الروسي [٥] . وإستناداً لما تقدّم ترى روسيا أوكرانيا كمصدر تهديد تأريخي، إذ أنّ الأخيرة تُمثّل موقعاً حساساً بين روسيا ودول أعضاء حلف الشمال الأطلسي، بإعتبار أن أوكرانيا هي المسافة الأكبر بينهما، وكذلك لإشغالها لأكثر من نصف مساحة البوابة الشرقيّة لأوروبا، ولأنّ عمليّات الإدماج والشراكات الأوروبيّة والأطلسيّة كانت وما زالت تهدف إلى تقليص النفوذ الروسي في تلك المنطقة، بات الأمر مصدر قلق بالنسبة للروس من وصول نفوذ الغرب نحو أوكرانيا بصورة مُباشرة، ولذلك لا يُمكن لروسيا أن تترك أوكرانيا في متناول خطط وأهداف الغرب، لاسيما، الامنيّة والإقتصاديّة منها، مع وجود عامل القوميّة الروسيّة تجاه أوكرانيا، إذ تُعد الأخيرة وفق المنظور الروسي منطقة مصالح روسيّة وحُصْن إستراتيجي يعزل روسيا عن الغرب [٦] . ونظراً لأهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا من جهة، وإدراك الغرب لهذا الأمر من جهة أخرى، وبسبب نهج الحكومة الأوكرانيّة المُناصرة للغرب، وبفعل السياسة غير الوديّة بين روسيا الإتحاديّة وأوكرانيا، والعقوبات المفروضة على الأولى من قبل الولايات المُتحدة الامريكيّة ودول الغرب، كل ذلك أدى إلى تدهور العلاقات الثنائيّة بين روسيا وأوكرانيا بصورة تدريجيّة، لا سيما منذ العام ٢٠١٢. وقد كان المجال الإقتصادي في مقدمة الأصعدة من هذا الضعف الذي أصاب العلاقات الثنائيّة الروسيّة – الأوكرانيّة. وأدناه الجدول رقم (١) يوضح لنا حجم التجارة الخارجيّة بين روسيا الإتحاديّة وأوكرانيا للأعوام منذ ٢٠١٢ وحتى ٢٠١٥، والذي بات يشهد عاماً بعد عام تقلصاً واضحاً للتجارة المُتبادلة بين البلدين، وعلى النحو الآتي:

المؤشّرات	الأعوام			
	٢٠١٢	٢٠١٣	٢٠١٤	٢٠١٥
حجم التجارة الخارجيّة لأوكرنيا مع روسيا	٤٥ مليار دولار	٣٩.٦ مليار دولار	٢٧.٩ مليار دولار	١٥ مليار دولار
صادرات روسيا الإتحاديّة إلى أوكرانيا	٢٧.٢٩ مليار دولار	٢٣.٨ مليار دولار	١٨.١ مليار دولار	٩.٣ مليار دولار
صادرات أوكرانيا إلى روسيا الإتحاديّة	١٧.٦ مليار دولار	١٥ مليار دولار	٩.١ مليار دولار	٣.٥٥ مليار دولار

جدول رقم (١) [٧]

مؤشرات حجم التجارة الخارجيّة لروسيا الإتحاديّة وأوكرانيا منذ العام ٢٠١٢ وحتى العام ٢٠١٥

ولا يُمكن تجاهل موضوع الغاز الذي بات يُسبب مُشكلات وصراعات كبيرة جداً على مستوى العلاقات بين روسيا الإتحاديّة وأوكرانيا، وقد تجلّت هذه الأزمة بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي مُباشرةً، إذ أنَّ تدمير الفضاء الإقتصادي المُشترك للإتحاد المذكور قد ولَّد أزمة إقتصاديّة لدى الدول التي تم تأسيسها حديثاً (الجمهوريات السوفيتيّة سابقاً) في جميع المجالات، لا سيما قطاع النفط والغاز، وفيما يلي نوضح أبرز نقاط الإختلاف بين روسيا الإتحاديّة وأوكرانيا ضمن السياق الحالي [٨] :

١. أدى توجه الصناعة الأوكرانيّة والقطاع العام نحو الغاز الروسي إلى تعزيز التبعية الاوكرانيّة لروسيا الإتحاديّة، كما أنّ الموقع الجغرافي لأوكرانيا قد حدد التبعيّة العكسيّة. إذ أنّ مرور أغلب أنابيب تصدير الغاز عبر الاراضي الاوكرانيّة والآفاق المبهمة لمد خطوط أنابيب غاز بديلة للخطوط الاوكرانيّة قد سمح لكييف بالدفاع عن مواقفها الخاصّة. ومن ناحية اخرى، قامت كييف من دون إذن رسمي بمصادرة الغاز المُخصص للتصدير إلى منشآت التخزين الخاصّة بها تحت سطح الأرض. وقد أصبح هذا الامر ممارسة مُعتادة بالنسبة للشركات الأوكرانيّة منذ أواخر تسعينيات القرن الماضي، والتي كان من الصعب مقاومتها بشكل فعّال.

٢. لم تهدف السلطات الاوكرانيّة الجديدة إلى تعميق التكامل الاقتصادي مع روسيا الاتحادية .

٣. اندلاع صراعين حادين حول الغاز في عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٩ بين روسيا الاتحادية وأوكرانيا، والتي على إثرهما قررت الأولى إيقاف توريد الغاز إلى أوكرانيا في البداية، ومن ثمَّ أبدت الأخيرة عدم رغبتها في استئناف نقل الغاز الروسي إلى أوروبا عبر أراضيها.

٤. وبالنظر لعدم موثوقيّة اوكرانيا كدولة (ترانزيت)، قررت روسيا تنفيذ مشاريع بإنشاء خطوط نقل جديدة لتوريد الغاز إلى أوروبا، فقد تمَّ تشغيل خطوط (Yamal – Europe) و (Nord Stream) الجديدة والتي أدّت إلى انخفاض تدريجي في تدفق الغاز عبر شبكة نقل الغاز الأوكرانيّة. بالمقابل، أعلنت أوكرانيا عن تحديد أولويات جديدة في سياسة الطاقة من خلال تقليل الإعتماد على إمدادت روسيا من

الغاز والبحث عن مصادر بديلة في بلدان القوقاز وآسيا الوسطى مثل كازخستان وأذربيجان وتركمانستان وغيرها من البلدان الغنيّة بموارد الطاقة.

وبذلك يُمكن القول بأن الإهتمام الروسي بأوكرانيا يرتبط بعوامل استراتيجية عدة يتداخل فيها التأريخ والجغرافية والثقافة مع الإقتصاد والأمن، لذا يرى محللون استراتيجيون أمريكيون أنّ روسيا لا يمكنها فصل علاقتها مع أوكرانيا، فيؤكد وزير الخارجيّة الأمريكيّة الأسبق (هنري كيسنجر) أنَّ أوكرانيا لا تُعد بلداً أجنبيّاً بالنسبة لروسيا، وينطلق بذلك من أنّ أسس التأريخ الروسي تعود إلى مدينة (كييف) الاوكرانيّة، وأنّ أوكرانيا كانت جزءاً من روسيا لقرون عدة ، وخاض الروس والأوكرانيون جنباً إلى جنب الكثير من المعارك منذ مطلع القرن الثامن عشر، كما يُعلل (كيسنجر) أهمية أوكرانيا بالنسبة لروسيا في أنّ الأولى تُمثّل شريكاً إقتصاديا رئيساً بالنسبة للثانية، وأنّ روسيا تود إن تضم أوكرانيا إلى الإتحاد الأوراسي، وهذه الأهميّة الخاصة لأوكرانيا في المنظور الروسي هي التي صنعت المُشكلة الأساسيّة للأزمة الأوكرانيّة – الروسيّة [٩] . وفي كتابه (رؤية إستراتيجيّة: أميركا والسُلطة العالميّة) يصف المُفكر الإستراتيجي الأمريكي ومُستشار الأمن القومي الأسبق (زبغنيو بريجينسكي) أوكرانيا على أنها من أكثر الدول تعرُّضاً للخطر الجيوسياسي، ففي حالة تراجع الدور الأمريكي فستصبح مُهددة بالإبتلاع من قبل الدب الروسي [١٠] .

المبحث الثاني: أزمة القرم وتداعياتها على روسيا وأوكرانيا

أولاً: الأهمية الإستراتيجيّة لشبه جزيرة القرم في المنظور الروسي ودوافع الأزمة

كانت منطقة شبه جزيرة القرم قبل العام ٢٠١٤ عبارة عن إقليم يتمتع بحكم ذاتي في إطار سيادة الدولة الاوكرانيّة والتي تُعد أحّد مؤسسي الإتحاد السوفيتي من خلال إنضمامها إليه في العام ١٩٢٢، ويقطن في هذا الإقليم أغلبيّة سكانيّة من أصول روسيّة، وبحكم موقع شبه جزيرة القرم على البحر الأسود ووقوع ميناء سيفاستوبول ضمنها، فإنّ هذا يعطيه أهميّة كبيرة بالنسبة إلى روسيا من منطلق موقعه الحيوي الذي يُمثل الطريق المهم تجاه مضيق البسفور بالنسبة للأخيرة، كما أنهُ يشكّل مع ميناء طرطوس الذي يقع في سوريا نقطتي إرتكاز على البحر الأبيض والأسود، وبذلك تعدّهُ روسيا طريقها الوحيد إلى المياه الدافئة، ومن الجدير بالذكر أنَّ شبه جزيرة القرم تمتلك أهميّة إقتصاديّة هائلة لدى روسيا الإتحاديّة، إذ تبلغ مساحته (٢٦) ألف كم، فضلاً عن تمتعهِ بثروات طبيعيّة سواء كانت معدنيّة أم زراعيّة [١١] . وعندما نعود بالتأريخ إلى الوراء نجد أنَّ منطقة القرم كانت تُعد ملتقى للمصالح الإستراتيجيّة لدول عدة، من أبرزها روسيا وتركيا والدول الأوروبية الكبرى، وكانت إمارة القرم قد دخلت تحت السيادة الروسيّة في العام ١٧٨٣ في عهد الإمبراطورة الروسيّة كاثيرينا الثانيّة وذلك بعد إن إنتصر الروس على الدولة العثمانيّة، وفيما بعد أصبحت شبه جزيرة القرم ميداناً لمعارك شرسة في كل من الحرب الشرقيّة (١٨٥٣–١٨٥٦) والتي خاضتها روسيا ضد التحالف المكون من تركيا وبريطانيا وفرنسا ومملكة سردينيا، وكذلك الحرب العالميّة الثانيّة (١٩٤١ – ١٩٤٥) [١٢] .

منذ سقوط الإتحاد السوفيتي وتفككه إلى جمهوريات مُستقلة، كانت روسيا الإتحاديّة وما تزال تهتم بالشأن الأوكراني الداخلي والخارجي، وأصبحت أوكرانيا منذ ذلك الوقت محور إهتمام الزعماء الروس، ولا سيما الرئيس الروسي الحالي (فلاديمير بوتين) الذي وصل إلى السلطة في البلاد في العام ٢٠٠٠، كون أنّ الأخير يختلف عن سابقيه بقوة طموحه في إسترجاع مكانة روسيا على الساحة الدوليّة كقوة عظمى وقطب عالمي في مواجهة الولايات المُتحدة الأمريكيّة والغرب. تعود جذور الازمة الأوكرانيّة – الروسيّة إلى كانون الاول من العام ٢٠١٣، وذلك بعد أن إندلعت تظاهرات حاشدة في أوكرانيا إعتراضاً على إمتناع الرئيس الأوكراني (يانكوفيتش) عن توقيع إتفاقيّة الشراكة مع الإتحاد الأوروبي وتفضيلهُ دخول شراكة إقتصاديّة مع روسيا الإتحاديّة، مما نتج عنه تظاهرات شعبية في كانون الثاني من العام ٢٠١٤ لإسقاط النظام الحاكم في أوكرانيا، وتحديداً رئيس الوزراء الاوكراني (ميكولا آزاروف) والرئيس الاوكراني (فيكتور يانكوفيتش) الموالي لروسيا، إلا أنّ هذا الوضع أثار سخط القيادة الروسيّة المُتمثلة بالرئيس (فلاديمير بوتين)، والذي عدَّ هذه التظاهرات الاوكرانيّة بالخروج عن الولاء لروسيا، كما عدّ إنهيار الحكومة الأوكرانيّة (حكومة يانكوفيتش) تهديداً مُباشراً للأمن القومي الروسي في ظل تدخلات التيارات الموالية للغرب في الشأن الاوكراني، مما دفع القيادة الروسيّة إلى إتخاذ بعض الإجراءات والتي كان من أهمها [١٣] :

١. الدخول إلى شبه جزيرة القرم وضمها إلى روسيا الإتحاديّة من أجل حماية الأسطول الروسي فيها بعد نجاح الإستفتاء الذي أجراه المجلس المحلي في شبه جزيرة القرم في آذار ٢٠١٤ للإنضمام إلى روسيا الإتحاديّة.

٢. عدم الإعتراف بشرعيّة الحكومة الأوكرانيّة الجديدة التي إنبثقت على إثر التظاهرات الملونة والتي ترأسها الرئيس (بترو يوشينكو).

٣. دعم الأقليّات ذات الأصول الروسيّة في شرق أوكرانيا وخلق حالة من التمرد على السلطة الاوكرانيّة، وذلك تجنباً لإحتماليّة إنضمام أوكرانيا إلى حلف الشمال الأطلسي.

ثانياً: مرحلة المواجهة والسيناريوهات المُحتملة للمُستقبل الروسي – الأوكراني

على الرغم من صعوبة التنبؤ ورسم نظرة مُستقبليّة دقيقة بشأن صراعات القوى في مختلف مناطق العالم، لا سيما في ظل التغيير الديناميكي لموازين القوى وفقاً لنهج الحكومات وسياساتها الموجهة بشكل أو بأخر إلى حماية مصالحها والحفاظ على أمنها دون الإنخراط في حروب دامية من خلال اللجوء إلى القوة الناعمة، إلا أنّ الأمر بالنسبة لروسيا الإتحاديّة وأوكرانيا فهو مُختلف بعض الشيء، لا سيما إذا أخذنا بنظر الإعتبار مدى التقارب التأريخي والجغرافي والعرقي والثقافي والديني بينهما. فروسيا تدرك جيّداً أهمية أوكرانيا، ولن تتنازل عنها لصالح الإتحاد الأوروبي أو حلف الناتو، وذلك يعود إلى أسباب عدة لعل من أبرزها [١٤] :

١. أنّ أوكرانيا تُمثل منطقة مصالح مهمة بالنسبة لروسيا من وجهة نظر جيوبولتيكية وإقتصاديّة.

٢. ولأنّ الأخيرة تُعد بمثابة الحصن الإستراتيجي الذي يعزل روسيا عن الغرب.

٣. ولأنّ روسيا لم ولن تتخلى عن رغبتها في تواجد أسطولها البحري في البحر الأسود.

٤. كما أنّ روســـيا الإتحادية لن تتنازل عن منطقة شـــبه جزيرة القرم بعد أن نجحت بضمها إليها في العام ٢٠١٤.

وعليه، وبالإستناد إلى هذه المعطيات والحقائق الثابتة، يُمكن الجزم بأنّ الغرب لن يترك أوكرانيا بشأنها، بل العكس، فهي باتت ورقة ضغط فاعلة وقوية يستخدمها ضد روسيا، وأنّ الأخيرة تدرك جيّداً خطورة الإستراتيجيّة الغربيّة الهادفة إلى زعزعة الأمن القومي الروسي من خلال توظيف الغرب لأدواته في المناطق المُتاخمة للحدود الروسيّة (كأوكرانيا ومنطقة القوقاز) لتحقيق المصالح الغربيّة وضرب المصالح الروسيّة على المستوى الإقليمي، ومُحاصرتها وعدم السماح لها بالتمدد، لذلك يُمكن القول بأنّ السيناريو الأكثر إحتمالاً هو إستمرار الحرب الروسيّة – الأوكرانيّة. كما أنَ لسياسة أوكرانيا الطامحة إلى التقرب نحو تحالفات الغرب، والإبتعاد عن روسيا دور بارز في تعقيد الأحداث وزيادة حدة المواجهات على الأراضي الأوكرانيّة. وفيما يتعلق بالسيناريو الثالث، فأنّ روسيا الإتحاديّة قد تتعرض إلى عقوبات جديدة على خلفية شن الحرب على أوكرانيا ودخول روسيا للأراضي الاوكرانيّة في شباط من العام الحالي، والتي ستكون أشد أشد صرامة من تلك التي فُرضت عليها من قبل الولايات المُتحدة الامريكيّة في العام ٢٠١٤، إذ أنَّ روسيا لم ترضخ للسياسات الغربيّة والامريكيّة عن طريق حزمة العقوبات المفروضة عليها في السنوات السابقة ، الأمر الذي سرعان ما أثار غضب وقلق الولايات المُتحدة الامريكيّة وحلفاؤها من الغرب حول نشوب حرب مفاجئة ضد اوكرانيا وغزوها من قبل الروس، ومن ثمَّ كان ذلك خير ذريعة امام الولايات المُتحدة الأمريكيّة ودول حلف الشمال الأطلس للضغط على اوكرانيا للإستمرار في مواجهة روسيا من خلال تزويد الأولى بالسلاح وقطع الوعود بالنيل من روسيا وعزلها إقليمياً ودولياً في مختلف المجالات الإقتصاديّة والسياسيّة والرياضيّة وحتى الإجتماعيّة. وفي الجانب المُقابل تحرص روسيا على حماية رعاياها من المواطنين الأوكرانيين ذوي الأصول الروسيّة في منطقة الدونباس الواقعة

تحت السيطرة الروسيّة منذ العام ٢٠١٤، والذين حصلوا مؤخراً على مئات الآلاف من الجوازات الروسيّة الرسميّة [١٥] . كما أنّ روسيا تدرك جيّداً خطورة الإنسحاب من الأراضي الأوكرانيّة لما لذلك من تبعات سلبيّة على مكانتها الدوليّة. وأنّ الجيش الأوكراني بدأ بتطوير نفسه ومُعداته منذ العام ٢٠١٤، بعد أن لاحظ العديد من الخبراء العسكريين عدم جاهزيّة القوات المُسلّحة الأوكرانيّة في التصدي للغزو الروسي، والذي إنتهى بضم شبه جزيرة القرم في العام المذكور، ولم تكن كييف حينها قادرة على الدفاع عن دونيتسك ولوغانساك، اللّتان أصبحتا تحت سيطرة الإنفصاليين بدعم من موسكو، وهذا التطور الخاص بالجيش الأوكراني جاء بدعم من الولايات المُتحدة الأمريكيّة ودول الغرب كما أسلفنا وذكرنا لأي أهداف من وراء ذلك [١٦] .

إنَّ العواقب الإقتصاديّة للحرب بالنسبة لروسيا ستكون ملموسة على المدى الطويل والمُتوسط، إذ يُمكننا توقع تدهور سعر صرف الروبل، وحدوث التضخم المالي، وإرتفاع الأسعار بسبب غلاء السلع الواردة وتشديد الرقابة على الصادرات، فإذا نجحت سياسة الغرب في إزاحة المواد الخام الروسيّة من السوق العالميّة، فإنَّ ذلك سيؤثّر سلباً في إيرادات الميزانيّة لروسيا الإتحاديّة، وتُظهر لنا تجربة العقوبات ضد إيران أنّ بإمكان الولايات المُتحدة الامريكيّة فرض أنظمة عقوباتها ليس على الحلفاء الذين هم في كل الأحوال يخططون للعمل بها فحسب، وإنما ذلك سيشمل السلطات القضائيّة المُحايدة تجاه روسيا أيضاً، كما أنّ تقليص قاعدة الموارد سيكون مصحوباً بزيادة في الإنفاق الدفاعي بسبب التسارع في سباق التسلح مع الغرب، وكذلك سترافقه ضرورة تأمين الأراضي الاوكرانيّة بالموارد، فضلاً عن أنّ مُجمل العوامل الإقتصاديّة ستؤثر سلباً في نوعية نمط حياة المواطنين الروس ومداخيلهم [١٧] . وأخيراً يُمكن القول بأنَّ الحملة

العسكريّة التي تقودها روسيا ضد اوكرانيا قد فتحت صفحة جديدة في تأريخ العلاقات الدوليّة، كما إنها أسست لواقع يومي مُغاير، بالنسبة للبعض، ستحصل هذه التغييرات هنا والآن، أما بالنسبة للآخرين، فسيتأخر حدوثها لأشهر أو سنوات لاحقة. لكنها في النهاية ستمس وسطاً واسعاً من الناس سواءً كانوا داخل روسيا أو خارج حدودها [١٨] .

الخاتمة

بعد إنهيار الإتحاد السوفيتي سعت روسيا الإتحادية (الوريث الاكبر) للإتحاد المذكور إلى لملمة أوراقها وإعادة هيكلة مؤسساتها ومفاصلها، وكذلك مارست طموحها الهادف من اجل إنعاش الاقتصاد المتدهور في البلاد. ولم تتمكن الحكومات الروسية المُشكّلة بعد التفكك السوفيتي من تلبية هذه الطموحات وتحقيق الأهداف المنشودة إلا بعد وصول الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) إلى منصة الحكم. الأخير الذي عمل جاهداً على تصحيح أوضاع البلاد الداخليّة، كان يرى بأن على روسيا بناء علاقات جديدة مع العالم القريب المجاور والبعيد. إلا أنّ تعقّد الظروف الداخليّة للبلاد والأزمات التي مرت بها روسيا منذ العقد الأخير من القرن الماضي، فضلاً عن الضغوطات الخارجيّة لم تسمح بذلك. ومن خلال عرضنا لموضوع البحث الموسوم (**روسيا وأوكرانيا بعد أزمة شبه جزيرة القرم**) تم التوصل إلى الإستنتاجات الآتية:

١. هنالك الكثير من العوامل والإعتبارات التي تدفع روسيا الإتحاديّة بالتمسك بأوكرانيا، ولعل أهمها، موقعها الجغرافي المتاخم للحدود الروسيّة وعدّها الحصن الحصين الذي يفصل روسيا عن الغرب، والعامل التأريخي الذي يُظهر لنا عراقة العلاقة والترابط

بين الشعبين الروسي والأوكراني، فضلاً عن الإعتبارات الدينيّة والثقافيّة والمصالح الإقتصاديّة بين البلدين.

٢. منذ تفكك الإتحاد السوفيتي، لم تتخل روسيا عن هاجس السيطرة على الدول المُستقلة وإستعادة الأمجاد السابقة، وبذلك كانت وما زالت تخشى من إنخراط هذه الدول في التحالفات أو الإتحادات أو المنظمات التابعة للغرب .

٣. إنطلاقاً من أهميّة منطقة شبه جزيرة القرم بالنسبة لروسيا، وتواجد الأسطول الروسي فيها، وعدّها ملتقى للمصالح الإستراتيجيّة لدول عدة من ضمنها روسيا وتركيا ودول أوروبيّة كبرى، لم تتوان الحكومة الروسيّة من ضم هذه المنطقة إلى روسيا الإتحاديّة في ظل ميول أوكراني واضح تجاه دول الغرب والولايات المُتحدة الأمريكيّة .

٤. من السيناريوهات المُحتملة جداً بين روسيا الإتحاديّة وأوكرانيا أن تتصاعد حدة الأوضاع وتتفاقم الأزمات في المناطق الأوكرانيّة الحدوديّة والتي يسكنها أغلبية سكانيّة من أصول روسيّة، كمدينة الدونباس على سبيل المثال. ومما زاد الأمر تعقيداً هو حشد الحكومة الروسيّة قواتها العسكريّة ونشرها لصواريخها الباليستيّة على مشارف هذه المناطق الحدوديّة المُشتركة مع أوكرانيا. في المقابل لوحظ إستمرار حلف الشمال الأطلسي بزعامة الولايات المُتحدة الأمريكيّة بالتوسع نحو شرق أوروبا.

٥. وأخيراً، لن تتخلى روسيا عن طموحها في ضم أوكرانيا أو السيطرة عليها سياسياً وإقتصادياً على أقل تقدير، ولن تنسحب من الصراع الجيوسياسي مع دول حلف الشمال الأطلسي والولايات المُتحدة الأمريكيّة القائم من أجل أوكرانيا، طالما أنّ الاخيرة أصبحت أداة بيد الغرب للضغط على روسيا وتهديد أمنها القومي الذي بات مكشوفاً (جغرافيّاً) أمام الغرب منذ إنهيار الإتحاد السوفيتي وتفكك دوله الأعضاء.

٦. على الرغم من المساعي نحو تطوير القوات المُسلحة الأوكرانيّة منذ العام ٢٠١٤، لا سيما بعد ضم روسيا الإتحاديّة لشبه جزيرة القرم، ودعم الولايات المُتّحدة الأمريكيّة والغرب لأوكرانيا في مجال التسليح وتزويدها بالتقنيات العسكريّة المُتطورة، إلا أنّ ذلك لا ينفي أو يُقلل من حجم الفروقات بين روسيا الإتحاديّة وأوكرانيا على صعيد الجاهزيّة العسكريّة والإمكانيّات التقنيّة واللوجستيّة من حيث الكم والنوع. والشكل أدناه يوضح لنا جدّية هذا الطرح.

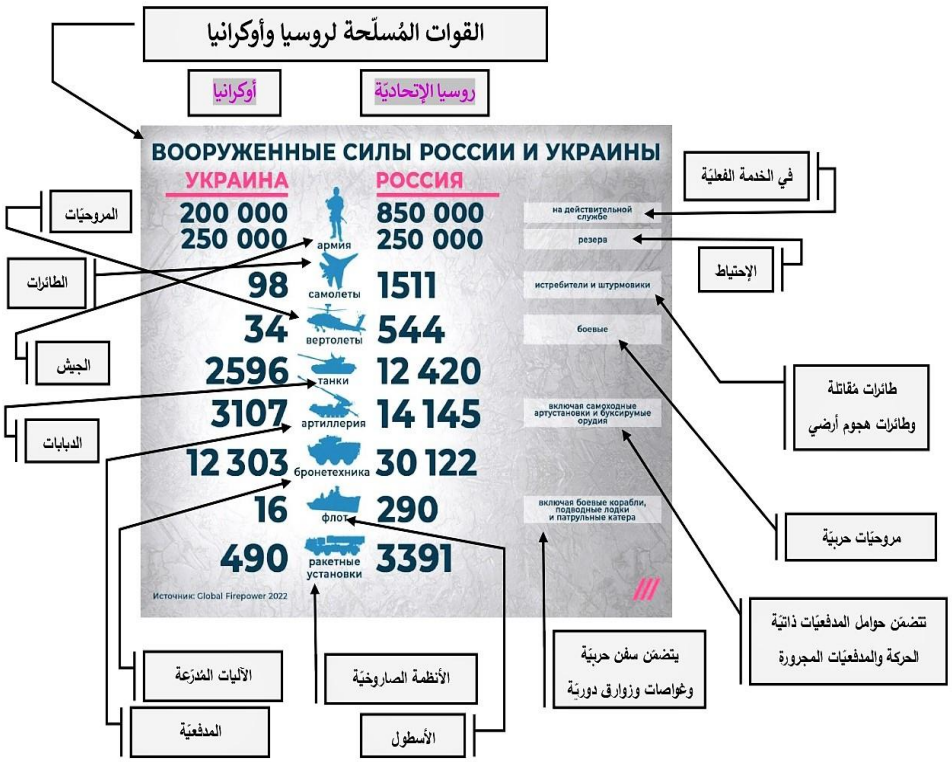

شكل رقم (١) [١٩]

الهوامش

١- سهاد إسماعيل خليل: المكانة الجيوستراتيجيّة لأوكرانيا وأثرها على الأمن القومي الروسي (أزمة القرم أنموذجاً)، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (٧٠)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة/ جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص١٤٩ – ١٥١ .

٢- المصدر نفسه .

٣- آمنة محمد علي: أزمة القرم وتداعياتها على العلاقات الروسيّة – الأوكرانيّة، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (٦٨)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة/ جامعة بغداد، ٢٠١٧، ص١٥٢ .

(*) البلاشفة: وهي التسمية التي أطلقها فلاديمير إيليتش أوليانوف (لينين) على أنصاره في حزب العمل الديمقراطي الإشتراكي الروسي. للمزيد يُنظر: حافظ قرقوط، البلشفيّة، ٢٠١٩/٩/٣، ١٧:٣٦، المقالة متوفرة على الرابط الآتي: https://bit.ly/3vhpSvH

٤- فيان أحمد محمد لاوند: الأزمة الأوكرانيّة في السياسة الروسيّة والامريكيّة وأبعادها المُستقبليّة، مجلّة الدراسات المُستدامة، العدد ٣(٢)، الجمعيّة العلميّة للدراسات التربوية المُستدامة، ٢٠٢١، ص١٧٧ .

٥- إيثار أنور محمد البياتي: الأساس الجيوستراتيجي للأزمة الأوكرانيّة وتداعياتها الداخليّة، مجلّة المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، العدد (٧١)، مركز المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، ٢٠٢٠، ص١٠٨ – ١٠٩.

٦- المصدر نفسه، ص١١١.

٧- الجدول من إعداد الباحث، للمزيد الإطلاع على:

Дробот Е.В., Стамати Е.П., Никитина А.В. Россия и Украина: возможности и угрозы // Экономические отношения. — 2016. — № 4. — Стр. 138 .

8- Денис О. Баца, Российско-украинские отношения: этапы и проблемы, Проблемы постсоветского пространства. 2017 4(1): Стр. 67-69 .

٩- كوثر عباس الربيعي: الأزمة الأوكرانيّة والعلاقات الروسيّة – الأمريكيّة (التأريخ والجيوستراتيجيّة)، مجلّة قضايا سياسيّة، العدد (٤٥-٤٦)، كلية العلوم السياسيّة – جامعة النهرين، ٢٠١٦، ص١٥٤ .

١٠- المصدر نفسه، ص١٥٥ .

١١- أرشد مزاحم مجبل: الأزمة الأوكرانيّة وسمات التغيير في التوازن الدولي، مجلة حمورابي للدراسات، العدد (١١)، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة، تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٤، ص٧٥ .

١٢- أهمية القرم الإستراتيجيّة بالنسبة لروسيا، روسيا اليوم، ٢٠١٤/٣/٢١، ١٥:١٩، الموقع متوفر على الرابط الآتي: shorturl.at/vyCXY

١٣- ميادة علي حيدر: أوكرانيا في الإدراك الروسي – الأمريكي – الأوروبي (دراسة في الأزمة الأوكرانيّة ٢٠١٤ – ٢٠١٨) مجلّة قضايا سياسيّة، العدد (٦٠)، كليّة العلوم السياسيّة/ جامعة النهرين، ٢٠٢٠، ص١٢٢ – ١٢٣ .

١٤- محمد صادق جميل الحمداني: الأزمة الأوكرانيّة وأثرها على مُستقبلها الجيوبولتيكي، مجلّة كلية التربية الأساسيّة، العدد (١٠١)، الجامعة المُستنصريّة/ كليّة التربية الأساسيّة، ٢٠١٨، ص٣٥٤ .

١٥- عقوبات قاسيّة وأسلحة رادعة".. سينايوهات تنتظر خُطط روسيا تجاه أوكرانيا، الحُرة/ ترجمات – دبي، ١٤ أبريل (نيسان) ٢٠١٢، الموقع مُتوفر عبر الرابط الآتي: shorturl.at/cmtIP .

16- Татьяна Торочешникова. В ожидании вторжения России в Украину: почему война возможна, сценарии конфликта, соотношение сил и «финансовая крепость» в Москве, Телеканал Дождь, 25 января, 18:41 .

17- Иван Тимофеев. Цена вопроса: каковы будут результаты вводимых против России. Российский совет по международным делам (РСМД). 26 февраля 2022 .

١٨- المصدر نفسه .

١٩- الشكل من إعداد الباحث، للمزيد يُرجى الإطلاع على المصدر (١٦).

المصادر

أولاً: العربية

١- أرشد مزاحم مجبل: الأزمة الأوكرانيّة وسمات التغيير في التوازن الدولي، مجلة حمورابي للدراسات، العدد (١١)، مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجيّة، تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٤ .

٢- آمنة محمد علي: أزمة القرم وتداعياتها على العلاقات الروسيّة – الأوكرانيّة، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (٦٨)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة/ جامعة بغداد، ٢٠١٧ .

٣- أهميّة القرم الإستراتيجيّة بالنسبة لروسيا، روسيا اليوم، ٢٠١٤/٣/٢١، ١٥:١٩، الموقع متوفر على الرابط الآتي: shorturl.at/vyCXY

٤- إيثار أنور محمد البياتي: الأساس الجيوستراتيجي للأزمة الأوكرانيّة وتداعياتها الداخليّة، مجلّة المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، العدد (٧١)، مركز المُستنصريّة للدراسات العربيّة والدوليّة، ٢٠٢٠ .

٥- سهاد إسماعيل خليل: المكانة الجيوستراتيجيّة لأوكرانيا وأثرها على الأمن القومي الروسي (أزمة القرم أنموذجاً)، مجلّة دراسات دوليّة، العدد (٧٠)، مركز الدراسات الإستراتيجيّة والدوليّة/ جامعة بغداد، ٢٠١٧ .

٦- عقوبات قاسيّة وأسلحة رادعة".. سينايوهات تنتظر خُطط روسيا تجاه أوكرانيا، الحُرة/ ترجمات – دبي، ١٤ أبريل (نيسان) ٢٠١٢، الموقع مُتوفر عبر الرابط الآتي: shorturl.at/cmtIP .

٧- فيان أحمد محمد لاوند: الأزمة الأوكرانيّة في السياسة الروسيّة والامريكيّة وأبعادها المُستقبليّة، مجلّة الدراسات المُستدامة، العدد ٣(٢)، الجمعيّة العلميّة للدراسات التربوية المُستدامة، ٢٠٢١ .

٨- كوثر عباس الربيعي: الأزمة الأوكرانيّة والعلاقات الروسيّة – الأمريكيّة (التأريخ والجيوستراتيجيّة)، مجلّة قضايا سياسيّة، العدد (٤٥-٤٦)، كلية العلوم السياسيّة – جامعة النهرين، ٢٠١٦ .

٩- محمد صادق جميل الحمداني: الأزمة الأوكرانيّة وأثرها على مُستقبلها الجيوبولتيكي، مجلّة كلية التربية الأساسيّة، العدد (١٠١)، الجامعة المُستنصريّة/ كليّة التربية الأساسيّة، ٢٠١٨ .

١٠- ميادة علي حيدر: أوكرانيا في الإدراك الروسي – الأمريكي – الأوروبي (دراسة في الأزمة الأوكرانيّة ٢٠١٤ – ٢٠١٨) مجلّة قضايا سياسيّة، العدد (٦٠)، كليّة العلوم السياسيّة/ جامعة النهرين، ٢٠٢٠ .

ثانياً: الروسية

1- Денис О. Баца, Российско-украинские отношения: этапы и проблемы, Проблемы постсоветского пространства. 2017 4(1).

2- Дробот Е.В., Стамати Е.П., Никитина А.В. Россия и Украина: возможности и угрозы // Экономические отношения. — 2016. — № 4.

3- Иван Тимофеев. Цена вопроса: каковы будут результаты вводимых против России. Российский совет по международным делам (РСМД). 26 февраля 2022 .

4- Татьяна Торочешникова. В ожидании вторжения России в Украину: почему война возможна, сценарии конфликта, соотношение сил и «финансовая крепость» в Москве, Телеканал Дождь, 25 января, 18:41 .